سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

يسكن أعالى النيل ثلاث مجموعات أساسية تتفرع منها عدة مجموعات أخرى فرعية :

١ ـ المجموعة النيلية ، ويطلق عليهم اسم Nilotes ، وهم خليط من الزنجى والحامى . نشأ هذا الخليط بالقرب من شرق البحيرات الكبرى فى شرق أفريقا ثم نبعت منه شعبتان :

الشعبة الأولى هى جماعة الدنكا وقد اتجهت شمالا ثم تكون منها الدنكا والنوير الحاليتان

والشعبة الثانية اتجهت شمالا أيضا ونتج عنها القبائل التى تتكلم اللهجة الشلك مثل جماعة الشلك والليو والانواك

وهذه المجموعة تشغل أقاليم بحر الغزال وبحر الجبل وبحر الزراف والسوباط وجزءا من النيل الأبيض . أما مميزات هذه المجموعات الجنسية فهى قامة بائنة الطول ، وراس مستطيل ، وبشرة سوداء جدا ، وشعر مجعد ؛ فهم يختلفون عن الزنجى البحت وكذلك عن الحامى البحت

أما جماعة الأشولى الذين يتكلمون لهجة الشلك فرؤوسهم مستديرة ، وذلك يرجع الى تأثرهم جنسياً وثقافة بعنصر مستدير الرأس جاء من الغرب الى الشرق والتقى بهم أثناء هجرتهم من موطنهم الأصلى

٢ ـ المجموعة الحامية النيلية Nilo hamites مثل البارى واللوتوكو وغيرهم ، وهم يشبهون النصف حاميين half hamites الذين يوجدون فى شرق أفريقا وفى شرق أفريقا الوسطى ، ويكثر وجودهم فى مستعمرة كينيا واوغندا حتى حدود السودان وشمال تنجانيقا . وهم أيضا خليط من الحامى والزنجى ، غير أنه يظهر تغلب الجنس الحامى فى تكوينهم خصوصا من حيث التقاطيع مثل الأنف ولو أن البشرة سوداء اللون . ولقد تأثروا أيضاً بالهجرات المستديرة الرأس الآتية من الغرب الى الشرق ، ولكن هذا التأثير كان ثقافيا لا جنسياً

٣ ـ مجموعة زنجية مستديرة الرأس لونهم أخف من لون النيليين وقامتهم أقصر . كانت أماكنهم بحيرة تشاد ، ثم هاجروا جنوبا إلى افريقا الاستوائية الفرنسية ، ثم شمالا الى خط تقسيم المياه بين الكنغو والنيل . وأهم هذه المجموعة الازندى ، ويسكنون فى أعالى بحر الغزال الآن

وبعض العلماء يظن أن لونهم الفاتح يرجع الى اختلاطهم بجماعة البربر أو بعض الحاميين

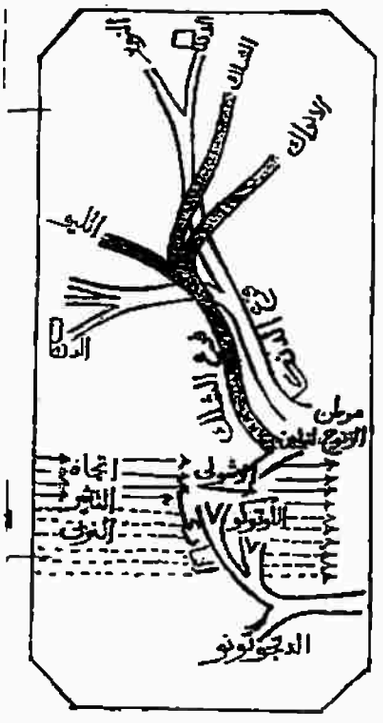

خريطة تبين سير الهجرات
(للأستاذ سليمان)

ولقد اشتهر سكان هذه الجهات ومعظم سكان أفريقا — سواء الزنجى البحت أو الخليط — بحب اللهو والطرب والرقص وكثرة شرب الخمور . ولقد تبارى العلماء فى تعليل هذه الظاهرة التى تكاد تعم معظم بقاع افريقا

فابن خلدون يرجع ذلك إلى عوامل مناخية إذ يقول :

« من خلق السود على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب ، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحق فى كل قطر ؛ والسبب الصحيح فى ذلك أنه تقرر فى موضعه من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هى انتشار الروح الحيوانى وتفشيه ، وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه . وتقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار ، مخلخلة لمزاجه فى كيته ، ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور مالا يعبر عنه ، وذلك بما يداخل بخار الروح فى القلب من الحرارة الغريزية التى تبعثها ثورة الحر فى الروح من مزاجه فينتشى الروح ويجىء طبيعة الفرح . وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات إذا تنفسوا فى هوائها واتصلت حرارة الهواء فى أرواحهم فتسخنت ، لذلك حدث لهم فرح ، وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشىء عن السرور .. ولما كان السودان

ساكنين فى الاقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم وفى أصل تكوينهم كان فى أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم، فتكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل الاقليم الرابع (المعتدل) أشد حرا، فتكون أكثر تفشيا، فتكون أسرع فرحا وسرورا وأكثر انبساطا، ويجىء الطيش على أثر هذه. وتتبع ذلك فى الأقاليم والبلدان تجد فى الأخلاق أثرا من كيفيات الهواء والله الخلاق العليم.»

ولقد حاول كثير من العرب تعليل حب هؤلاء الأقوام للخمر واللهو والرقص، ومن هؤلاء المسعودى الذى ينسب ذلك إلى ضعف عقليتهم، كذلك يعقوب بن اسحاق الكندى ذكر ذلك التعليل الذى ربما يكون المسعودى قد نقله عنه

كذلك ذكر هذا الرأى جالينوس كما يقول ذلك ابن خلدون وربما كان ذلك راجعا إلى قلة العمل وطول الوقت، ولذلك يلهو الزنجى بمثل هذا النوع من الطرب. وربما يرجع حب الزنجى للرقص والحر الى التغلب على مناخ بلاده الذى يدعو إلى الكسل والخمول. كما يستعمل الأوروبى مثلا المسكرات للتغلب على البرد فى بلاده. ويقول نعوم بك شقير فى كتابه تاريخ السودان: «وهم مولعون بالرقص ولعا شديدا، ولكل قبيلة منهم رقصة خاصة يرقصها الرجال والنساء على أصوات الآلات الموسيقية. وقد رأيت جماعة من رجال الشلك يرقصون رقصة حربية فى الخرطوم أيام تشريف الخديو للخرطوم، وقد لبسوا شعورهم على أشكال غريبة وزينوها بالريش والخرز وصبغوا جفونهم بصباغ أبيض مشرب حمرة، ولبسوا أساور العاج والنحاس فى أيديهم، والجلود أو الخرق فى أصلابهم، وحملوا الحراب والنبابيت فمثلوا فى رقصهم واقعة حربية وقفوا فيها صفين يهاجم أحدهما الآخر، وهم يقفزون كالقردة ويصيحون كالذئاب، وهم يهزون رماحهم وعصيهم فوق رؤوسهم، ويغنون أغانى لا تلحين فيها، ويصوتون بالقرون أصواتا مزعجة تصم الآذان؛ وبالاجمال لم يكن فى رقصهم طرب بل دل على الهمجية والخشونة»

وقد اشتهر الزنجى بجودة الرقص خصوصا فى عهد قدماء المصريين إذ استخدموا الأقزام لرقص الآلهة. وكثيرا ما نرى الآن فى موسيقى الجاز الأوروبية الراقصة أن يستخدم الزنجى المرقص. كما اشتهر بعض الزنوج نساء ورجالا بالرقص الأوروبى

الزنوج النيليون Nilotes

النوير

لم يتأثروا بالحكم الأوربى لأن أماكن سكناهم تجعلهم فى عزلة إذ يتعذر اجتياز بلادهم فى فصل الأمطار لكثرة المستنقعات كذلك فى فصل الجفاف. لذلك لم يحاول جيرانهم الاعتداء عليهم، كما أن العرب الذين عرفوا هذه الجهات قديما اكتفوا بانشاء محطات تجارية على المجارى المائية. ولم تهتم بهم الحكومات الأوربية إلا منذ أربع سنوات عندما قاموا ببعض الاضطرابات. وكان لهذه العزلة الأثر الأكبر فى عدم قبولهم الاختراعات الحديثة، وعدم تغييرهم لنظامهم الاجتماعى، كذلك لم يتأثروا بالمسيحية ولا بالاسلام؛ وتجد الحكومة صعوبة فى جباية الضرائب منهم أو ارغامهم على العمل

خريطة توزيع القبائل
(عمل الأستاذ رتشارد)

وتنقسم السنة عندهم إلى قسمين تبعا لتغير الانتاج الزراعى الذى يتوقف على هطول الأمطار. فمن ابتداء شهر مايو تهطل الأمطار وتستمر كذلك حتى أواخر نوفمبر، فتمتلئ الأنهار وتكثر الأخوار. ولما لم يكن هناك تصريف على السطح فان هذه المياه تتجمع على شكل مستنقعات تقوم فى وسطها عدة قرى فى الأراضى المرتفعة. وفى هذا الفصل تكون الماشية على مقربة من هذه القرى لكى يمكن ايوائها مساء فى الأماكن المخصصة لها لحمايتها من شر البعوض. كذلك يتمكن النوير فى هذا الفصل من زراعة بعض الذرة. وفى شهر ديسمبر تبدأ الأمطار فى القلة، وكذلك تقل الماشية الى

أماكن بعيدة عن القرى فى الجهات النائية حيث ترعى هناك ، وبعد أن يجمع المحصول فى القرى ترجع الماشية الى القرى لتأكل بقايا النباتات ؛ ثم بعد ذلك يحل فصل الجفاف

وأهم شىء فى حياة الثور خاصة ، والزنوج النيليين عامة هو الماشية ، فمنها يأخذون اللحم واللبن ، وجلودها تستعمل فراشاً ، وروثها يستعمل وقوداً ، والرماد المتخلف يتخذ لذلك الجسم لحمايته من البعوض ، ويصنع منه مسحوق للاسنان والشعر ، وقرونها تستعمل ملاعق ، وذيلها للزينة . والرجل الغنى عندهم هو الذى يملك ماشية ، فهى تقوم مقام الصداق فى حفلات الزواج ، ولذلك كان الثورى شديد الاهتمام بتنمية القطيع من الماشية ، لأنه مهم من حيث الزواج . والرجل عند ما يريد الزواج لا بد أن يوزع عشرين رأساً من الماشية على أهل زوجته ولا بد من إهداء عشرة رؤوس لأقارب والدة عروسه ، وعشرة أخرى لأقارب والد العروسه ، فمن اللازم أن يأخذ القطيع فى الزيادة حتى يصل الى خمسين رأساً من الماشية . فاذا تزوج ابن فلا بد أن يظل بقية الأبناء بدون زواج حتى يأخذ القطيع فى الزيادة إلى أن يستعيد عدده قبل الزواج . فالزواج حسب الترتيب : الأكبر فالذى يليه وهكذا .

وعلى نساء الأبناء الكبار أن يقمن بطهى الطعام وحلب الماشية للاخوة الذين لم يتزوجوا بعد ؛ كذلك تستعمل الماشية فى دفع الديات والتعويضات . والنوبرى يعتبر القتل كالزواج ، أى أن الرجل اذا قتل شخصاً من عائلة أخرى كان كأنه تزوج فتاة من هذه العائلة ؛ وذلك على قاعدة أن هذه العائلة ستفقد فردا منها فى حالة الزواج أو فى حالة القتل . فعلى القاتل أن يعطى عائلة المقتول عشرين رأسا من الماشية : عشرة منها توزع على أقارب والد القتيل ، وعشرة أخرى توزع على أقارب والدة القتيل . والفكرة فى ذلك أن عائلة القتيل تحتفظ بهذه الماشية التى أخذتها دية لكى يمكنها أن تحصل بواسطتها على زوجة للرجل الميت لكى تلد هذه الزوجة ابناً يحل محل أبيه . وهذه الزوجة بعد الحصول عليها تعيش مع زوجة الرجل المقتول ، والابن الذى يولد لها يعتبر كأنه للرجل المقتول .

يتبع

مشرف أحمد صادق

الاشتراك المجانى فى الرسالة

لدخولها فى سنتها الرابعة

(١) ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٦ إلى ٣١ منه سيكون الاشتراك فى الرسالة على النحو الآتى :

ص

٥٠ فى مصر والسودان

٤٠ لطلاب العلم ولرجال التعليم الالزامى

٦٠ فى البلاد العربية بالبريد العادى

٥٠ لطلاب العلم فى البلاد العربية بالبريد العادى

(٢) إذا دُفع الاشتراك المخفض فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ أُهدى إلى المشترك مجموعة من السنة الثانية أو مجموعة من السنة الثالثة ؛ وثمن كل منهما ستون قرشاً مصرياً . وأجرة البريد على المشترك ، وقدرها خمسة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٣) إذا دُفع الاشتراك الكامل فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ وقدره ستون قرشاً فى مصر ، وثمانون فى البلاد العربية ، أُهدى إلى المشترك نسخة من كتاب (ضحى الاسلام) أو (فجر الاسلام) للأستاذ أحمد أمين ، أو من كتاب (وحى القلم) للأستاذ الرافعى ، أو من كتاب (تاريخ الأدب العربى) للأستاذ الزيات ؛ أو كتابان يختاران من الكتب الآتية : آلام فرتر ، رفائيل ، فى أصول الأدب ، للاستاذ الزيات ؛ قصة المكروب ، مرجريت ، للدكتور أحمد زكى ؛ مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، قصص اجتماعية ، للأستاذ عنان

وأجرة البريد على المشترك وقدرها عشرة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٤) يقبل الاشتراك الكامل والمخفض أقساطاً من طلاب العلم ورجال التعليم الالزامى ، ولا يقل القسط عن عشرة قروش ولا تعطى الهدية إلا مع القسط الأخير